الفصـــل الأول

الأصول العقدية لتربيــة المرأة المسلمة المعاصــرة

obeikandl.com

obeikandl.com

يستهدف البحث في الأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ اكتشاف التوجيهات القرآنية والنبوية التي تحدد معالم تربية المرأة المسلمة باعتبارها الشريك المكافئ للرجل في مسيرة الحياة، والعمل سويا من أجل تجسيد تعاليم الله سبحانه وتعالى في واقعهما الاجتماعي، وذلك من خلال الممارسات الفردية والعلاقات الجماعية.

والمقصود بالأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة هي الأصول التربوية المستمدة من العقيدة، فكما أن هناك فلسفة وفلسفة تربية؛ هناك أيضا عقيدة وعقيدة تربوية.

وقد اعتمدت في استعراضي للأصول العقدية التصنيف الذي اعتمده الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابه فلسفة التربية الإسلامية؛ وهو تصنيف يقسم **مظاهر العبودية** إلى **ثلاثة** مظاهر هي: المظهر الديني، والمظهر الكوني، والمظهر الاجتماعي.

كذلك يقرر هذا التصنيف أن هذه المظاهر الثلاثة تمثل التجسيد العملي لمفهوم العبادة التي يجعلها القرآن الكريم غاية الخلق ومقياس إنسانية الإنسان.

وتتجسد هذه المظاهر الثلاثة تربويا من خلال تربية إنسان التربية الإسلامية لتكون علاقاته مع الخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة كما يلي:

١-علاقة إنسان التربية الإسلامية بالخالق - علاقة عبودية .

٢-علاقة إنسان التربية الإسلامية بالكون - علاقة تسخير .

٣-علاقة إنسان التربية الإسلامية بالإنسان - علاقة عدل وإحسان.

٤- علاقة إنسان التربية الإسلامية بالحياة- علاقة ابتلاء .

٥- علاقة إنسان التربية الإسلامية بالآخرة- علاقة مسئولية وجزاء .

(الكيلاني،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ٨٣)

وسوف أعمل على بلورة هذه العلاقات في أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة (علاقة العبودية).

المبحـــث الثاني: المظهر الكوني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة (علاقة التسخير).

المبحث الثالث: المظهر الاجتماعي للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة (علاقة العدل والإحسان – الابتلاء – المسئولية و الجزاء).

* * *

obeikandl.com

المبحث الأول
المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة
"علاقــة العبوديــة"

يجري البحث في المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال تقسيم الموضوع إلى ثلاثة محاور هي:

١- المفهـوم الحقيقـي لعلاقـة العبوديـة.

٢- أثر الإيمـــان على سلوك المـرأة المسلمـة.

٣- الصنميات الحديثة وأثرها على سلوك المرأة المسلمة.

أما عن تفاصيل هذه المحاور فهي كما يلي:

أولا: المفهوم الحقيقي لعلاقــة العبودية:

يتوجه الخطاب القرآني الداعي إلى عبادة الله سبحانه وتعالى إلى المرأة كما يتوجه إلى الرجل باعتبارهما ممثلين للإنسان الخليفة في الأرض.

والنظر في توجيهات القرآن الكريمة المتعلقة بتربية الأفراد - ذكورا وإناثا - يكشف عن أن العبودية تمثل الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها، والتي أرسل الرسل بدعوة الناس إليها. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]

والعبودية هي أرقى المقامات التي يمكن أن يرتقي إليها الإنسان؛ ولذلك وصف الله بها رسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء]. وقد جاء في تفسير القرطبي" أنه لو كان للنبي ﷺ اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية. "(القرطبي، د.ت، ج ١٠، ص٢٠٥).

ومن ثم ندرك أن الوضع الصحيح للإنسان يتمثل في كونه عبدا لله، حيث تمكنه

علاقة العبودية من معرفة الله، وعبادته، والسلوك على مقتضى هديه، بحيث يظل في ترق دائم في هذه الأمور.

وتشير آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن العبودية إلى أن العبادة لا تقتصر على مجرد أداء الشعائر المألوفة؛ وإنما يتسع مفهومها ليشمل دقائق حياة الإنسان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

ونجد نصوص السنة النبوية تفصل في الإشارة إلى أنواع الممارسات اليومية التي يمكن للمرأة المسلمة أن تحقق من خلالها عبوديتها لله، لتقيس عليها جميع سلوكياتها. ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه من أن رسول ﷺ قال: **" كل سلامى من الناس عليه صدقة: كل يوم تطلع فيه الشمس، قال: تعدل بين الاثنين صدقة. وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة "، قال" والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة "** (مسلم، د.ت،ج٢، الزكاة/ ١٦، ص٦٩٩).

فتربية المرأة على معرفة الغاية من وجودها؛ هدف أصيل من أهداف التربية الإسلامية، وهو يتحقق من خلال ممارساتها اليومية سواء في تعاملها مع خالقها أو في تعاملها مع غيره بحيث تكون في عبودية في جميع نشاطاتها.

ونجد الأصول التربوية في القرآن الكريم تتضمن ما يشير إلى تربية المرأة على إدراك الغاية من وجودها؛ فهذه امرأة عمران تنذر مولودها ليكون عتيقا خالصا لله تعالى، حاملا لرسالته متفرغا لعبادته. (القرطبي، د.ت،ج ٤، ص٦٦)، حيث قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥].

فتربية الفتيات على هذه الحقيقة منذ الصغر يجعلهن يتطلعن إلى تحقيق أهداف أبعد من الأهداف المألوفة؛ فالزواج مثلا، لا يصبح هدفا في حد ذاته، بل وسيلة إلى تحقيق مرادات الله وأوامره، والإسهام في ثقافة شكر الله على نعمه؛ لأن الشكر هو مظهر رئيسي من مظاهر العبادة. وقد ورد في تفسير قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة] عن الشكر ما نصه:

" إن عبادة الله تعالى هي غاية الشكر له في القيام بما يجب لألوهيته، واستعانته هي غاية الشكر له في القيام بما يجب لربوبيته. أما الأول؛ فظاهر لأنه هو الإله الحق فلا يعبد بحق سواه، وأما الثاني؛ فلأنه هو المربي للعباد الذي وهب لهم جميع ما تكمل به تربيتهم الصورية والمعنوية" (رضا، د.ت، ج١، ص ٦٠).

ويخبرنا القرآن الكريم أن الإنسان عندما يشكر ربه على النعم فإنما " يشكر لنفسه"؛ لأنه يستوجب بذلك لنفسه المزيد من النعم، فنجد في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ حين أراد استحضار عرشها من اليمن إلى القدس، وأحضر إليه قبل أن تطرف عينه، اعترف بفضل ربه عليه، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل].

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ تعريفها بربها لتطيعه عن قناعة ومعرفة، بحيث تجعل من العبودية بداية وغاية. فهي الأصل الذي تتفرع منه جميع العلوم، وهي الغاية التي لابد من الوصول إليها في النهاية.

كذلك توجه الأصول العقدية إلى وجوب توجيه المرأة المسلمة إلى العلم باعتباره فريضة إسلامية كما جاء عن رسول الله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: **" طلب العلم فريضة على كل مسلم"**. (ابن ماجه، د.ت،ج١، ص٨١).

والفريضة في الإسلام -كما يقول الأستاذ محمد قطب-هي " عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه ويبتغي بها رضاه." (قطب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٩٢).

ومن ثم فإن تعلم كل علم من العلوم المفروضة والمباحة، يعتبر وسيلة للتقرب إلى الله مادام يحقق الأهداف التي جاء بها الإسلام.

وتعليم المرأة يؤدي إلى اتساع تصورها للوجود، ولدورها فيه، ويخرجها من النطاق المحدود الذي تعيش فيه إلى محيط الوجود كله باعتبارها فردا من الإنسانية التي ترجع إلى أصل واحد مكرم، مميز عن غيره من المخلوقات. تعرف من أين جاءت؟ ولماذا؟ وإلى أين سينتهي بها المصير؟ فيشيع كل ذلك في نفسها الأمن والاستقرار الذي يشكل لديها دافعا وحافزا للعمل في الدنيا من أجل الجزاء الحسن في الآخرة ويحررها من العبودية لغير الله.

ثانيا: أثر الإيمان على سلوك المرأة:

إن النظر في التاريخ الإنساني يوضح لنا كيف أن إدراك المرأة لحقيقة علاقتها بالله سبحانه وتعالى، يجعلها ترتقي بنفسها وبمن حولها، حيث يهبها الإيمان قوة ذاتية تجعلها تلتزم حدود الله سبحانه وتعالى من تلقاء نفسها، فلا تعود ترغب إلا فيما يرضي الله، وتهجر كل ما لا يرضيه، رغبة في الفوز برضاه، ونيل أعلى الدرجات، وهو ما وعد الله به عباده المؤمنين العاملين في سبيله بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾ [التوبة].

وقد ورد في تفسير معنى هذه الآية أن الإيمان هو التسليم بالحقائق التي اشتمل عليها القرآن الكريم، والهجرة تعني ترك ما يتعارض مع الإيمان ومع الحقائق، والجهاد هو اسم هذا الكفاح، والثلاثة تمثل مراحل متتابعة لحياة الإنسان في سبيل ارتقائه إلى الإيمان.(خان ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٩).

ونجد القرآن الكريم يعرض لنا نماذج نسائية وصلت إلى مراتب عالية من السمو بما حققته لنفسها من تربية إيمانية، وما قامت به من إسهام في تربية قوافل المؤمنين منذ بدء الرسالات الإلهية.

فهذه امرأة فرعون التي اختارها الله لتقوم على تربية نبيه موسى -عليه السلام- بعد أن ضاقت السبل بأمه في ظل حكم فرعون المستبد؛ نجدها بعد أن يبعث موسى تسارع إلى الإيمان برسالته، مستعلية على كل ما حولها من مغريات لما أدركته من الحق. وحين يكشف أمرها وتعذب لتترك ما هي عليه؛ نجدها تصبر وتحتسب، ولا ترهبها أعظم قوة على ظهر الأرض؛ لأن إيمانها قد شكل منها إنسانا آخر، ومن ثم وجدناها تؤثر الموت في سبيل عقيدتها، واستحقت أن تكون بإيمانها مثلا يضربه الله سبحانه وتعالى لتحذو حذوه غيرها من النساء، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ ﴾ [التحريم].

وتلك مريم ابنة عمران التي تقبل الله نذر أمها، فاصطفاها لعبادته، وشهد لها

بالتصديق وبالقنوت (القرطبي، د.ت، ج١، ص ٦٦)، واختارها لتكون أما تقوم على تربية أحد رسله لهداية الإنسانية. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران]، وقال ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم].

ونجد الرسول ﷺ يشير إلى حفظ الله لها وابنها من الشيطان ببركة دعاء أمها حيث قالت: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦].

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: **" ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه "** (مسلم، د.ت، ج٤، الفضائل / ٤٠، ص ١٨٣٨).

وقد أشار الرسول ﷺ إلى بلوغ هاتين المرأتين مرتبة الكمال البشري بقوله:**"كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون"**. (مسلم، د.ت، ج٤، الفضائل/ ١٢، ص١٨٨٦-١٨٨٧).

كذلك تقدم لنا السنة النبوية أمثلة حية للدرجة الإيمانية الرفيعة التي بلغتها مسلمات صدر الإسلام، وعلى رأسهن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها التي تخلت عما ألفت من نعيم وترف عن قناعة ورضى، وكرست حياتها لمساندة زوجها في نشر الإسلام، واحتمال أذى المشركين، وبذلت في سبيل ذلك كل ما تستطيع من نفسها وماله.

يقول ابن كثير في تاريخه: " وآمنت خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاء به الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئا مما يكرهه؛ من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته، وتخفف عنه، وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس" (ابن كثير،١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م،ج ٣، ص٣٥).

ومن ثم فقد استحقت رضي الله عنها على ما قامت به من تضحية وعلى ما أبدته من وفاء لرسول الله ﷺ أن تكافأ ببيت في الجنة بشرها به الرسول ﷺ، حيث قال:**"أمرت أن**

أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب". (ابن كثير،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج ٣، ص٣٥ ـ٣٦)، كما استحقت أن يغضب عليه السلام إذا ما مس أحد ذكراها بسوء؛ فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **" كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها يوما، فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن! قالت: فرأيته غضب غضبا، أسقطت في خلدي، وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبت غضب رسولك مني لم أعد أذكرها بسوء. فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت قال:" كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني "**. قالت: فغدا وراح على بها شهرا " (الذهبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٢، ص ١١٢).

ولكل ذلك فقد استحقت أن تكون من أفضل نساء أهل الجنة كما أخبر ﷺ حيث قال: **" أفضل نساء أهل الجنة أربع؛ خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون "** (ابن عبد البر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج٤، ص ٢٨٥).

ونجد في السنة النبوية أيضا أخبارا عن أم شريك القرشية العامرية رضي الله عنها التي أسلمت بمكة ثم أخذت تدعو إلى الإسلام، حيث كانت " تدخل على نساء قريش سرا، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم. قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره، ثم تركوني ثلاثا، لا يطعمونني ولا يسقوني. قالت: فما أتت علي ثلاث حتى ما في الأرض شيء أسمعه. قالت: فنزلوا منزلا، وكانوا إذا نزلوا منزلا أوثقوني في الشمس، واستظلوا هم منها، وحبسوا عني الطعام والشراب، فلا تزال تلك حالي حتى يرتحلوا.... " (الأصبهاني،١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨ م، ج٢، ص ٦٦).

وهناك كثير من الأمثلة التي تدل على الإسهامات الكبيرة لمسلمة صدر الإسلام في نشر الإسلام، متحملة في سبيل ذلك صنوف الأذى والاضطهاد من قبل المشركين.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة اتخاذ تلك الأمثلة أساسا للانطلاق منها في حثها على العمل على نشر الدين الإسلامي بين غير المسلمين، خاصة في ظل الإمكانات الكبيرة التي توفرت في الوقت الحاضر بفضل التقنية الحديثة.

كذلك يقدم لنا القرآن الكريم صورا حية لمشاركة المرأة للرجل في نشر الإيمان وإقامة المؤسسات التي تربي البشرية عليه.

فهذه هاجر زوج إبراهيم عليه السلام التي أسكنها زوجها بأرض قفر، حيث لا ماء ولا حياة، وقد وصفها رب العالمين بذلك في قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم]، فحين عرفت هاجر أن ذلك إنما تم بأمر الله سبحانه وتعالى، سلمت لأمر الله وهي تقول: " إذا لا يضيعنا " (القرطبي، د.ت،ج٩، ص٣٦٩).

ويصف الهاشمي هذا الموقف فيقول:

" لقد كان موقفا عصيبا بالغ الصعوبة؛ رجل يترك امرأته ورضيعها في أرض قفر، لا نبات فيها ولا ماء ولا إنسان، وينقلب متوجها إلى بلاد الشام البعيدة، لم يترك لهما إلا جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء!!ولولا الإيمان العميق الذي ملأ نفس هاجر، ولولا صدق التوكل على الله الذي أترع مشاعرها وأحاسيسها لما استطاعت أن تتحمل هول الموقف، ولانهارت من أول لحظة فيه، ولما كانت تلك المرأة الخالدة التي يذكرها حجاج بيت الله الحرام والمعتمرون آناء الليل وأطراف النهار، كلما نهلوا من ماء زمزم الطهور، وكلما سعوا بين الصفا والمروة، مثل سعيها ذاك في ذلك اليوم العصيب." (الهاشمي،١٤١٥/ ١٩٩٤، ص١٢).

ثم نجد هاجر فيما بعد ترضع ابنها هذا الإيمان العميق لينشأ على التسليم لحكم الله وأوامره، فيرضى بأمر الله فيه وهو فتى، حيث أمر أبوه بذبحه، فيقول: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات:١٠٢].

فلابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من توجيهها بحيث تتخذ من هاجر وأمثالها قدوة لها في تمام التسليم لأوامر الله وأحكامه دون انتظار لمعرفة السبب من وراء ذلك الحكم، وحتى يكون شعارها دوما: " إذا لن يضيعنا "، كما لم يضيع هاجر وابنها عليه السلام، حيث أصبح الوادي القفر فيما بعد أفضل مكان على وجه الأرض؛ تهفو إليه القلوب من كل مكان، وكانت هاجر وابنها النواة لمجتمع إيماني، كان من نسله خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم.

وصورة أخرى يقدمها لنا القرآن الكريم متمثلة في أم موسى التي شاركت في تربية أحد رسل الرحمة الإلهية لبني الإنسان. فقد قدمت لنا أم موسى صورة مثالية لاستسلام المؤمنة لأوامر الله، متغلبة على ما كان يجيش في صدرها من عواطف الأمومة الحانية، والتي وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص].

وهكذا فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها بما ينمي لديها قوة الإرادة التي تمكنها عند الضرورة من التغلب على الوساوس، بل وحتى على العواطف الطبيعية، لترتقى إلى المستوى الإيماني الرفيع الذي ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة.

كذلك نجد السنة النبوية تعرض لنا كثيرا من الأمثلة التي توضح أثر الإيمان على سلوك مسلمة صدر الإسلام، والذي جعلها تندفع من أجل نصرة الدين الجديد، فتبذل كل ما في وسعها غير مبالية بما تلقاه من أذى أو عنت أو مشقة.

فمثلا كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها- إبان الهجرة- تقطع المسافات الطويلة بين مكة وجبل ثور في جوف الليل، غير مبالية بوحشة الطريق ولا بوعورة المسلك ، ولا بترصد الأعداء، وذلك لتوافي الرسول ﷺ وصاحبه بالزاد والأخبار. ثم نجدها بعد ذلك تثبت أمام كفار قريش حين يسألونها عن الرسول ﷺ فتأبى أن تجيب. وحين تحين ساعة رحيل الرسول ﷺ وصاحبه لا تجد أسماء ما تربط به الزاد سوى نطاقها فتشقه نصفين وقد روي عن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لها: **" أبدلك الله عز وجل بنطاقك هذا نطاقين في الجنة. فقيل لها: ذات النطاقين"** (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٣، ص ١٨٦/ وابن عبد البر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٤، ص ٢٣٣).

وكذلك أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها التي ضحت في سبيل عقيدتها بوطنها وقومها، وسافرت مهاجرة إلى المدينة المنورة وحدها بعد صلح الحديبية، وهي تقول لرسول الله ﷺ: " إني فررت إليك بديني، فامنعني ولا تردني إليهم، يفتنوني عن ديني ويعذبوني، ولا صبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة، وضعف النساء إلى ما تعرف، وقد رأيتك رددت رجلين حتى امتنع أحدهما. فقال " إن الله عز وجل قد نقض العهد في النساء وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم."، فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد فقالا:

أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فقال: " قد نقض الله العهد فانصرفا " (ابن الجوزي، د.ت، ج٢، ص ٥٧).

وفي أم كلثوم وأمثالها من المؤمنات، نزل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٠].

وهناك أيضا أم سلمة رضي الله عنها التي هاجرت إلى الحبشة ثم عانت الكثير وهي تهاجر إلى المدينة بعد أن فرق المشركون بينها وبين زوجها. وقد كان زوجها يحسن صحبتها، فلما مات؛ صبرت واسترجعت، تنفيذا لتوجيهات النبي ﷺ، وهي تظن أنه ما بين الناس من هو خير من أبي سلمة رضي الله عنه. لكن الرب الرحيم يبدلها بمن هو خير من أبي سلمة، جزاء معاناتها في سبيل الله وصبرها واحتسابها. تقول أم سلمة رضي الله عنها: " سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم آجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها، إلا آجره الله في مصيبته. وأخلف له خيرا منها." قالت: فلما توفى أبو سلمة قلت: من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ ؟ ثم عزم الله لي فقلتها. قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ " (مسلم، د.ت، ج٢، الجنائز/ ٢، ص ٦٣٣).

وهناك أم الفضل زوج العباس بن عبدا لمطلب رضي الله عنها التي دفعتها رغبتها في نصرة دين الله إلى ضرب أبي لهب بعمود، وذلك حين عمد إلى ضرب مولاها أبا رافع لاتباعه دعوة الرسول ﷺ، فقد شجت رأسه شجة عميقة قاتلة وهي تقول: " استضعفته أن غاب عنه سيده!!". وقد توفي أبو لهب بعد ذلك بسبع ليال (ابن كثير، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج٣، ص ٣٠٩).

وهناك كثيرات غير هؤلاء من المسلمات الأوائل اللاتي استعذبن العذاب في سبيل الله وفي سبيل إعزاز دينه؛ غير مباليات بما يلقين في سبيل ذلك، بل إنهن عمدن إلى التقدم للغزو مع رسول الله ﷺ وصحابته بعد أن بدأت المواجهة العسكرية بين المؤمنين والكافرين؛ حيث شاركن بما استطعن من أعمال من أجل مساندة المجاهدين، ولم يترددن عن الاشتراك في القتال حين الحاجة.

فهذه صفية بنت عبدا لمطلب رضي الله عنها؛ تقوم يوم أحد وفي يدها رمح لتضرب به في وجوه الفارين وهي تقول: انهزمتم عن رسول الله ﷺ!! " ولما رآها الرسول ﷺ أشار إلى ابنها الزبير بن العوام رضي الله عنه، ليرجعها حتى لا ترى ما حل بشقيقها حمزة رضي الله عنه الذي مثل

به الكفار؛ فقـالت: ولم؟ قد بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك، لأصبرن وأحتسبن إن شاء الله! "(الكاندهلوي.د.ت، ج٢، ص ٤٨٢-٤٨٣)، ثم تشهد الخندق بعد ذلك، فتعمد إلى قتل يهودي كان يطوف بحصن النساء بعمود (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٢، ص ١١٠ـ١١١).

ومثلها نسيبة بنت كعب المازنية ﵂؛ التي استلت سيفها يوم أحد، واندفعت للذود عن رسول الله ﷺ الذي عبر عن بلائها في ذلك اليوم بقوله: " ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني " (ابن سعد، د.ت، ج٨، ص ٤١٥).

وقد استحقت نسيبة ﵂ لجهادها في سبيل الله؛ أن ترافق الرسول ﷺ في الجنة حيث قال عليه السلام لابنها:"... بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان"، فلما سمعت نسيبة بمقولة رسول الله ﷺ، قالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: " اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة. فقالت: ما أبالي ما أصابني في الدنيا" (ابن سعد، د.ت، ج٨، ص ٤١٥).

وقد حذت أم سليم ﵂ حذو صفية ونسيبة وغيرهما من المجاهدات رضي الله عنهن، حيث اتخذت لنفسها خنجرا يوم حنين؛ لتضرب به من يدنو منها من المشركين.

ولصدق إيمانها، وحسن بلائها؛ استحقت أن يبشرها الرسول ﷺ بالجنة، حيث روى عنه أنس بن مالك ﵁ أنه قال:" دخلت الجنة فسمعت خشفة [(١)]. فقلت: من هذا؟ قلوا هذه الغميصاء بنت ملحان، أم أنس بن مالك " (مسلم، د.ت، ج٤، الفضائل/ ١٩، ص ١٩٠٨).

فهذه الأمثلة وغيرها كثير، إنما تدل على الإسهامات الكبيرة التي يمكن أن تشارك بها المرأة المسلمة المعاصرة في نصرة دين الله، إذا ما أحسن إعدادها، خاصة في وقتنا الحاضر؛ الذي تتكالب فيه شياطين الإنس والجن على الإسلام والمسلمين.

كذلك تبدو آثار التربية الإيمانية التي تلقتها مسلمة صدر الإسلام في سلوك التسليم لحكم الله وأوامره، والذي تجلى في العديد من المواقف التي أثبتتها السنة.

فهذه زينب بنت جحش ﵂؛ ترضى بعد تمنع بالزواج من زيد بن ثابت مولى

(١) صوت المشي وحركته. (النووي في مسلم، د.ت، ج٤، ص١٩٠٨).

رسول الله ﷺ وهي تقول:" إذا لا أعصي رسول الله ﷺ "، حيث نزل في قصتها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب] (ابن كثير، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م، ج٣، ص ٤٩٠).

وقد كافأها الله سبحانه وتعالى على هذا التسليم لأوامره؛ بأن زوجها من رسوله ﷺ بعد طلاقها من زيد، فكانت تفاخر الأخريات بقولها: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات" (الأصبهاني، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م، ج٢، ص ٥٢-٥٣).

ومثلها الصحابية فاطمة بنت قيس ﵂، التي تأيمت، ثم خطبت، فجعلت أمرها لرسول الله ﷺ؛ لينكحها من شاء. وكان قد خطبها معاوية، وأبو جهم، وأسامة بن زيد. فقال رسول الله ﷺ:" أما معاوية فرجل ترب [1] لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء، ولكن أسامة بن زيد "، فكأنها كرهت الزواج من أسامة؛ إذ أشارت بيدها وهي تقول: أسامة أسامة! فقال لها رسول الله ﷺ: طاعة الله وطاعة رسوله خير لك. فقالت: فتزوجته فاغتبطت. "

وفي رواية ".. فتزوجته فشرفني الله بابن زيد وكرمني الله بابن زيد"(مسلم، د.ت، ج٢، الطلاق/ ٦، ص ١١١٩-١١٢٠).

كذلك يتجلى سلوك التسليم لأوامر الله؛ في نزول مسلمة صدر الإسلام عند حكم الله تعالى في الأمر بالحجاب. فقد روي عن السيدة عائشة ﵂ أنها قالت: "يرحم الله نساء المهاجرات الأول؛ لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ [النور:٣١]؛ شققن مروطهن فاختمرن بها "(البخاري ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٦، التفسير/ ١٢، ص ١٣).

فينبغي إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تسلم لأوامر الله وأحكامه عن طواعية دون انتظار لمعرفة الحكمة من ورائها موقنة بأن في ذلك الخير،كل الخير لها.

ويدخل الإيمان بالقضاء والقدر ضمن التسليم لله في كل الأمور؛ إذ يتضمن التسليم بقدرة الله على الإحاطة بكل شيء (الأشقر، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص ١٣٥). وقد أخبر ﷺ بأن الرضا بالقضاء والقدر من علامات الإيمان والطاعة والتقوى والصلاح،

(١) ذو فاقة. (الرازي، د. ت، ص٧٦).

وذلك في قوله ﷺ: " عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له "(مسلم، د.ت، ج٤، الزهد / ١٣، ص٢٢٩٥).

وقد ظهر أثر التربية الإيمانية في نفس مسلمة صدر الإسلام، حيث وجدناها تتحمل وهي راضية كل ما يصيبها في سبيل دينها والتزامها بعقيدتها في إيمان عميق بقضاء الله وقدره وتسليم كامل لحكم الله، يظلله حب الله ورسوله وطاعتهما.

فهذه امرأة من بني دينار؛ يصاب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ يوم أحد،: فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين؟. قالت: أرونيه أنظر إليه. قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل " (ابن كثير، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، ج٤، ص ٤٩). وتلك الخنساء، يقتل أبنائها الأربعة: فتقول: " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته " (ابن حجر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٤، ص ٢٨٨).

وقد حذت التابعية معاذة بنت عبد الله زوجة صلة بن أشيم حذو المسلمات الأوائل في الصبر على قضاء الله وقدره، حيث استشهد زوجها وابنها في بعض الحروب، فاجتمع النساء عندها فقالت: " مرحبا بكن إن كنتن جئتن للهناء. وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن."وكانت تقول: " والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى الله بالوسائل، لعله يجمع بيني وبين أبي الشعثاء وابنه في الجنة." وقد توفيت عام ٨٣هـ (الذهبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٤، ص ٥٠٨-٥٠٩).

ومثلها أيضا التابعية حفصة بنت سيرين؛ التي اتخذت من الصبر معينا لها على مواجهة مصابها في ابنها الهذيل، وقد كان بارا بها أشد ما يكون البر[1] وحدثت هي عن ذلك فقالت:

"... فلما مات رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت: فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل، إذ أتيت على هذه الآية: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا

(١) من بر الهذيل بأمه أنه كان يجمع الحطب في الصيف فيقشره، ويأخذ القصب فيفلقه، وكانت أمه تشعر بالبرد إذا جاء الشتاء، فكان الهذيل يضع الكانون خلفها وهي في مصلاها، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر، وذلك الحطب المفلق وقودا لا يؤذي دخانه، حتى تشعر أمه بالدفء، ويظل يفعل ذلك ما شاء الله برا بها واعترافا بفضلها " (ابن الجوزي، د.ت، ج٤، ص ٢٥).

بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل].

قالت: فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد " (ابن الجوزي، د.ت، ج٤، ص ٢٥).

وقد وجدنا أثر التربية الإيمانية بارزا في نفوس المسلمات الأوائل، حيث كانت الواحدة منهن تتحمل الصدمات بنفس راضية مطمئنة، وتستعين بالصبر والصلاة، والذكر والشكر على قضاء الله.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تدعيم قوة إيمانها؛ بحيث تنعكس آثارها على سلوكها رضى بقضاء الله وقدره، وأمنا واطمئنانا.

كذلك تشير الأصول العقدية لتربية الفرد المسلم – ذكرا وأنثى – إلى أن إيمان الفرد المسلم يمكن أن يضعف، وأنه لذلك يحتاج إلى تجديد مستمر، ويشير إلى ذلك قول الرسول ﷺ "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم، كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم "(المتقي الهندي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج١، ص ١٢٦).

وقد أوضح العلماء العوامل التي تؤدي إلى ضعف الإيمان ومرض القلب، فذكروا من بينها الغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والرياء، وغيرها من مؤثرات العمل (المحاميد،١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٦٨).

أما كيفية تجديد الإيمان فذلك ما أوضحه ﷺ حين قال لأصحابه فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " جددوا إيمانكم.قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله "(ابن حنبل، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٢، ص ٣٥٩).

وتركز الأصول العقدية في السنة النبوية على تربية المرأة المسلمة بما يعينها على إدراك حقيقة الذكر وأثره في حياتها العملية، حيث نجد الرسول ﷺ يحث ابنته فاطمة رضي الله عنها على الاستعانة بذكر الله على أمور الدنيا والآخرة، حينما جاءت تطلب منه خادما. حيث قال لها ولزوجها علي رضي الله عنه :" ألا أعلمكما خيرا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعا وثلاثين، وتسمياه ثلاثا وثلاثين، وتحمداه ثلاثا وثلاثين. فهو خير لكما من خادم " (مسلم، د.ت،،ج٤، الذكر/ ١٩، ص ٢٠٩١)، كما يربى نساء المسلمين جميعا على هذا السلوك حين يقول عليه السلام: " يا نساء المؤمنين عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس ولا

تغفلن فتنسين الرحمة، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات، مستنطقات " (ابن سعد، د.ت،ج٨، ص٣١٠).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ العمل على توجيها إلى أهمية الذكر، وكيفية القيام به، وما له من آثار على نفسيتها، حيث يعمل على تجديد العزم، إلى جانب أنه يشعرها بحاجتها إلى خالقها وعلمه وقدرته وخزائنه وعفوه ورحمته، كما أنه يشعرها بخضوعها له، وكل ذلك ذو أثر كبير في تجديد الإيمان في النفوس، ودفعها إلى الالتزام بسلوك الطاعة للخالق والابتعاد عن معصيته.

والذكر من أفضل الأعمال التي يمكن أن يمارسها الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته باللسان وبالفكر وبالعمل. وهو يشعر الإنسان بمعية الله له ويذكره بعبوديته لله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

والغفلة عن ذكر الله، تفتح المجال لذكر غيره؛ ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف]، وذكر اللسان يمكن أن يتم كما أشرنا؛ في كل لحظة من لحظات حياة الإنسان، أما الذكر العملي، فإنه لا يقتصر على مجرد ممارسة العبادات، بل يشمل جميع سلوكيات الإنسان إذا ما قصد التوجه بها نحو خالقه. والذكر الفكري يشمل الجانبين، بحيث يتجه الإنسان بفكره نحو خالقه بما يحقق إخلاصه في عبوديته له. ومن الذكر تلاوة القرآن الكريم التي يجب أن تنشأ المرأة المسلمة المعاصرة على الحرص عليها،بحيث تقبل على تدبر معانيه، وتحاول الالتزام بها في واقع حياتها، اقتداء بنبيها الذي قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها:" فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن " (ابن حنبل، د.ت،ج٦، ص ٥٤).

ونجد أن الأصول العقدية للتربية النبوية تحث على قراءة القرآن الكريم، وتدور في ذلك كثير من الأحاديث من بينها قوله ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر "(مسلم.د.ت، ج١، المسافرين/ ٣٧، ص٥٤٩).

ويحتاج بناء القدرة على تدبر القرآن الكريم لدى المرأة المسلمة المعاصرة إلى تعريفها

بلغة القرآن الكريم، ومفرداتها وأساليبها بما يعينها على فهمه وتدبره، وفي ذلك تحرير لفكرها لينطلق بعيدا عن الجمود، ويحاول إدراك الحكمة التي تنطوي عليها آيات الكتاب؛ مما يعينها على الإحسان في أداء العبادات المختلفة.

وتحدد الأصول العقدية المستمدة من السنة النبوية معيار قياس الإيمان في نفس الفرد المسلم، على أنه إحساس نفسي لا يشعر به غير صاحبه الذي يمكنه تحديد دوافع سلوكه وتصرفاته، وهو أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: **" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "**(مسلم، د.ت، ج١،الإيمان / ١٦،ص٦٦).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تنمية حب الله ورسوله، والعمل في سبيل طاعة الله سبحانه وتعالى، وترغيبها في الممارسات السلوكية التي تزيد من قوة إيمانهـــا.

ومما يلفت النظر في الأصول العقدية المستمدة من القرآن الكريم؛ التأكيد على ضرورة اقتران الإيمان بالعمل الصالح حيث لا إيمان بدون عمل صالح، ولا عملا صالحا بدون إيمان.

والعمل الصالح؛ هو الترجمة العملية، والتطبيق الأكمل للعلاقات بين الإنسان والخالق، وبين الإنسان والكون، وبين الإنسان والحياة، وبين الإنسان والآخرة، وهو ينقسم إلى **قسمين**: عمل هدفه جلب النفع، وعمل هدفه دفع الضر، وقيام الفرد بالنوعين يجعله صالحا مصلحا، أما اقتصاره على الأول؛ فإنه يجعله صالحا فقط، وهذا يتعارض مع أهداف التربية الإسلامية التي تسعى إلى إيجاد النموذج الذي يجمع بين الجانبين (الكيلاني، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ٤٧-٤٩).

فلابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من التأكيد على أهمية غرس القيم والمبادئ العقدية الصحيحة، التي تساعدها على وزن أعمالها بميزان الصلاح، فتقرب منه، مبتعدة عما ينافيه.

ونجد الأصول العقدية المستمدة من السنة النبوية تشير إلى أن العامل الأساسي في الحكم على صلاح الأعمال من عدمه يتمثل في النية حيث يقول ﷺ فيما رواه عمر بن

الخطاب ﷺ: " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى " (مسلم، د.ت، ج٣، الإمارة/ ٤٥، ص١٥١٥ـ١٥١٦).

والنية؛ لغة: هي"عزم القلب وتوجهه وقصده إلى الشيء."(الزبيدى، د.ت، ج١٠، ص ٣٧٩) **واصطلاحا:** هي انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرضه، من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا (عابد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص٧٧).

فلابد أن تربى المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك هذه الحقيقة، وأنها ستجازى على أعمالها بحسب نيتها عند أدائها من التقرب إلى الله، أو الحصول على غرض من أغراض الدنيا. وقد جاء في تكملة الحديث السابق قوله ﷺ: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه."(مسلم، د.ت، ج٣، الإمارة/ ٤٥، ص ١٥١٦).

وتربيه المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك هذه المعاني، ينبغي أن تدفعها إلى استصحاب النية في كل ما تقوم به من سلوكيات لتنال عليها الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة. فارتداؤها للحجاب مثلا، يجب أن يكون عن رضا وتسليم بأنه شرع من الله العالم بما يصلح لخلقه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك]، وطلبها للعلم يجب أن يكون من أجل ابتغاء مرضاة الله، مما يستوجب منها الإخلاص في طلبه، والتحري فيما تتعلم بحيث لا ينحرف بها عن الغاية التي تطلبه من أجلها، وهكذا في كل أمورها؛ بحيث تسترشد بما جاء في القرآن الكريم من أمثلة للأعمال الصالحة؛ فتسير على منوالها والأعمال السيئة؛ فتتجنبها.

ومما يلفت الانتباه أيضا؛ أن الأصول العقدية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ كلاهما يعني عناية واضحة بإبراز السلوكيات المصاحبة للعقيدة الصحيحة والمتمثلة في الأعمال الصالحة، يقابلها كذلك عناية واضحة بإبراز السلوكيات المصاحبة للعقيدة المنحرفة.

والأمثلة التي أشرنا إليها سابقا ؛ كلها تشير إلى أثر الإيمان على سلوك الطاعة الذي تجلى لدى أولئك المسلمات المؤمنات. ويؤكد ذلك قوله تعالى:﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء:٣٤].

فأصول التربية الإسلامية توجه إلى أن المرأة الصالحة هي التي يظهر أثر صلاحها على سلوكها مع زوجها؛ طاعة له، وقياما بحقه في ماله، وفي نفسها في غيبته (القرطبي، د.ت،ج٥،ص١٧).

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو أمامة رضي الله عنه: " ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله، خيرا له من زوجة صالحة؛ إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله " (ابن ماجه، د.ت، ج١، النكاح / ٥، ص ٥٩٦).

ويوضح القرآن الكريم خطورة عدم تربية المرأة على التعاون مع الرجل في مسيرة الإصلاح، ويقدم مثلا لذلك سلوك امرأتي أنبياء الله نوح ولوط اللتين ضرب الله بهما مثلا للذين كفروا. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم].

ففساد العقيدة لدى هاتين المرأتين؛ قد دفعهما إلى الأعمال السيئة، حيث روي أنهما كانتا تفشيان أسرار زوجيهما للمشركين (القرطبي، د.ت، ج١٨، ص٢٠)، ومن ثم استحقتا أن يجازيهما الله أسوأ جزاء، ولم يشفع لهما كونهما زوجات لأنبياء الله؛ أقرب خلقه إليه.

فالعقيدة الصحيحة تمثل رقيبا ذاتيا يدفع بصاحبها إلى مراقبة الله، ويحول بينه وبين السوء، ويدعوه إلى الفضيلة.

ونجد التوجيهات التربوية في القرآن الكريم تقدم للفضيلة معنى أوسع بكثير جدا من الحدود الرسمية التي تمثل الحد الأدنى الذي بدونه ينهار المجتمع من أساسه. فهي تشمل بناء النفس بجميع جوانبها، وبكل تصرفاتها وأحاسيسها (محمد قطب، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٤٤).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ إعدادها بما يساعدها على التمسك بالفضيلة، والمحافظة على المستوى التكريمي الذي أراده لها الخالق، فلا تهبط عنه، وبذلك

تكون ذات عقيدة حية فاعلة تدفعها إلى تغيير ما حولها، بعد أن تستقر في نفسها، وتمنحها القدرة على التمييز بين الخير والشر، والاختيار بينهما، وتوجهها نحو الخير.

هذا على **المستوى الذاتي** الذي يتعلق بالمرأة في نفسها.

أما على **المستوى الخارجي**، والذي يتعلق بالآخرين؛ فإننا نجد أيضا، أن صحة العقيدة أو فسادها يمثل أيضا أساس العلاقة بين أفراد المجتمع أو الأمة.

ولذلك نجد الأصول التربوية المستمدة من القرآن الكريم تحدد العلاقات الإيجابية التي يجب أن تربط بين الإنسان المسلم وبين خالقه، ثم بينه وبين غيره من المخلوقات، بثلاثة أنواع: الولاء، والعدل، والإحسان. **فأعلاها** الولاء **وأدناها** العدل.

والولاء لا يكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، وهو علاقة حب، وثقة، ومناصرة، وإيثار، ولا تكون إلا بين أصحاب المبدأ الواحد. وإلى ذلك تشير آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب:٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

ونجد التوجيهات التربوية في القرآن الكريم؛ تحذر من الولاء لغير الله ورسوله حيث يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

وقد ضربت مسلمة صدر الإسلام أروع الأمثلة على تقديم آيات الولاء لله ورسوله دون سواهما، فهذه أم حبيبة ﵂؛ زوج الرسول ﷺ تربأ بفراش رسول ﷺ أن يجلس عليه كافر، حتى ولو كان هذا الكافر أباها.

فقد جاء أبو سفيان يجدد العقد قبل الحديبية، قبل الفتح، ودخل على ابنته أم حبيبة، فثنت عنه فراش رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أدري أرغبت بي عنه أو به عني؟ قالت: بل هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك. فقال: والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر " (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٤، ص ١٤٦).

وتلك السيدة عائشة ﵂، يدفعها ولاؤها لله ولرسوله ﷺ، إلى كتمان أمره عن أبيها وهو من هو في منزلته من رسول الله ﷺ. وذلك أنه ﷺ حينما كان يتهيأ لفتح مكة"..... أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفي ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته، فدخل أبو بكر على عائشة ﵂، فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى، فقال لها: يا بنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت. فقال: أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟ فصمتت. فقال: يريد بني الأصفر ـ وهم الروم؟ فصمتت. فقال: لعله يريد أهل نجد؟ فصمتت. فقال: فلعله يريد قريشا؟ فصمتت... فدخل رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله: أتريد أن تخرج مخرجا؟ قال: نعم. قال: فلعلك تريد بني الأصفر؟ قال: لا. قال: أتريد أهل نجد؟ قال: لا. قال: فلعلك تريد قريشا؟ قال: نعم...." (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٤، ص ٢٨١).

ونفس الموقف وقفته أم جميل بنت الخطاب ﵂ عندما جاءتها أم أبي بكر الصديق ﵁ تسألها عن رسول الله ﷺ مرسلة من أبي بكر ﵁، بعد أن ضربه كفار قريش في بدء الدعوة حتى فقد وعيه. فلما أفاق، سأل عن رسول الله ﷺ، ثم طلب من أمه أن تذهب لسؤال أم جميل" فقالت لها: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله. فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا (قريبا من الموت)، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فماذا فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا

شيء عليك منها. قالت: سالم صالح.. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم..." (ابن كثير، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ج٣، ص ٢٩-٣٠).

ويتبدى الولاء لله ورسوله أيضا؛ في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها التي أتتها أمها لتزورها وهي مشركة، فلم تدخلها حتى استأذنت الرسول ﷺ في صلتها، فقال لها: " نعم صلي أمك" (مسلم، د.ت، ج٢، الزكاة/ ١٤، ص ٦٩٦).

وعلاقة الولاء يمكن أن تتعرض للتغير بفعل الجاهلية، حيث ترتد من الدوران في فلك الرسالة – الله والرسول والمؤمنون – لتعود إلى الدوران في فلك العصبيات والمصالح . (الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص١٧)، ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ إعدادها بحيث لا يكون ولاؤها إلا لله ولرسوله وللمؤمنين بعيدا عن كل ما عدا ذلك من علاقات، سواء كانت عائلية أو قبلية أو حزبية، تنفيذا لأمر الله تعالى بإقامة الدين والاعتصام به وتجنب الفرقة والاختلاف، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

وإقامة الدين لا تتم إلا بالقضاء على دواعي التفرق وعلى رأسها الجهل الذي يعمي الإنسان عن رؤية الحق والانقياد إليه.

كذلك فإنه ينبغي على التربية أن تعمل على تنمية وعي المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تدرك العوامل الجامعة، والقواسم المشتركة، بين أفراد المجتمع الإسلامي، وتكتسب الاتجاهات السليمة التي تجنبها ما من شأنه إثارة الفرقة والاختلاف، باعتبار ذلك من أهم أسباب شيوع الولاءات الضيقة، التي تجعل الفرد المسلم ـ بنوعيه ـ بعيدا عما يجري لإخوانه في أنحاء العالم، والتي تجعل أفراد المسلمين يعاملون بعضهم البعض من منطلق طبقي، مبعثه غنى البلد أو فقره، وغير ذلك مما ينافي صحة العقيدة التي تدعو إلى التكافل والأخوة الإيمانية في ظل الولاء لله وحده سبحانه وتعالى دون سواه.

ثالثا: الصنميات الحديثة وأثرها على سلوك المرأة المسلمة:

الصنمية كما يعرفها الدكتور الكيلاني تعني:" تخلي الأفراد والجماعات عن حرياتهم في التفكير والتعبير والاختيار، وعن ممتلكاتهم التي رزقهم الله إياها من أجل مخلوق آخر، ثم التوسل إليه ليرد بعضا منها إليهم " (الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص١٥٧).

ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تشير إلى أن من أهم عوامل ظهور الدين؛ إيقاف عبودية الإنسان لأي مخلوق، وتحقيق عبوديته لله وحده.

وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح:٢٨].

وذلك لأن عبودية الإنسان لغير خالقه تحط بمنزلته الكريمة، وتؤدي إلى شيوع الظلم بدل العدل، والالتفاف حول أرباب مصطنعة، بدل الرب الحقيقي.

وقد تحدث ابن تيمية عن ذلك؛ حيث أشار إلى أن كل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه، أو يرزقوه، أو أن يهدوه؛ خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميرا لهم متصرفا بهم. فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها. وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، ولاسيما إذا درت بفقره إليها، وعشقه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها، فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن (ابن تيمية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٨ م، ج١٠، ص١٨٥).

فالخضوع لغير الله يولد " علاقة الصنمية " بين الإنسان وبين ذلك الشيء أو الشخص المتعبد له، مما يؤدي بالعابد إلى الهبوط عن مرتبته الإنسانية.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ توجيهها إلى أن خضوعها لغير الله يولد" علاقة الصنمية " بينها وبين ما تخضع له من أشياء أو أشخاص؛ لأنها تندفع عند ذلك إلى بذل كل ألوان الحب والطاعة لذلك الصنم أو المعبود.

وتشير الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

وفي معنى هذه الآية ذكر الإمام القرطبي أن الأنداد هم الرؤساء الذين يتبعهم المرءوسون ويطيعونهم في معصية الله (القرطبي، د.ت، ج٢، ص٢٠٣).

فلابد أن تدرك المرأة المسلمة المعاصرة؛ أن كل من تقدم له مراسيم الولاء والطاعة من دون الله يعتبر ندا لله.

وقد أشار إلى ذلك الحديث في قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم وعبد الخميصة [١] إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط. تعس وانتكس[٢] وإذا شيك فلا انتقش "(البخاري، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، ج٣، الجهاد/ ٧٠، ص٢٢٣).

وعلى ذلك؛ فإن المرأة التي تقدم مراسيم الولاء والطاعة لزوجها في رغباته التي تخالف أوامر الله ونواهيه؛ كالتبرج، وشرب الخمر ومخالطة الرجال الأجانب[٣] وغيره؛ تعتبر عابدة لهذا الزوج وإن كانت تطيعه وهي كارهة لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وكذلك المرأة التي تقدم مراسيم الولاء والطاعة للموضة في كل شيء دون مراعاة لمدى قربها أو بعدها عن قيم الإسلام؛ تعتبر" عابدة " للموضة وأربابها.

وكذلك أيضا المرأة التي تقدم مراسيم الولاء والطاعة للقانون أو النظام الحاكم الذي يأمر المرأة بالخروج متبرجة؛ تعتبر" عابدة " لهذا القانون أو النظام. والسبب في ذلك هو أن طاعتها لأرباب الموضة، أو للنظام، أو للقانون؛ تعني رفضها للاحتكام إلى الله في واقع حياتها، وكأنها هي وأربابها أكثر إدراكا لما يصلح الحياة من رب العالمين [٤] .

---

(١) **الخميصة**: ثوب خز أو صوف معلم، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة.

(٢) **انتكس**: أي عاوده المرض كما بدأ به.

(٣) يشير واقع حال المجتمعات الإسلامية إلى حدوث مثل هذه الأمور وأمثالها. (انظر: القرضاوي، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م).

(٤) غفلت المرأة المسلمة المعاصرة، في ظل القوانين الوضعية التي تحكمها، عن التكريم الإلهي الذي يرمز إليه أمرها بالالتزام بالحجاب أمام الأجانب، لذلك وجدناها تندد بمن يحاول أن يعيدها إلى أصالتها بعيدا عن زيف الحضارة المعاصرة التي جعلتها نهبا للأعين في كل مكان. وقد تبدى ذلك في موقف العلمانيات من نساء تركيا اللاتي تظاهرن ضد خطط رئيس الوزراء نجم الدين أربكان، وبرامجه الهادفة إلى تشجيع= = المجتمع

ولابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة أيضا؛ من توجيهها إلى أن الأمر نفسه ينسحب أيضا على مظهر الطاعات حين تمارسه المرأة من أجل إرضاء شهوات النفس، أو إرضاء الآخرين؛ كأن تلبس الحجاب من أجل ستر عيوب جسدية، أومن أجل التظاهر بالتدين رغبة في الزواج لأن بعض الرجال يفضلون ذات الدين، أومن أجل التستر على بعض أعمال تأتيها مما لا يرضي الله حتى لا تكون موضع شبهة، أو من أجل مسايرة الموضة، أو لإجبار وليها لها على الحجاب... إلخ. فلأن الأعمال في الإسلام بالنيات، فإن من تلبس الحجاب الإسلامي بفضل أي من هذه التوجهات؛ فإنها سرعان ما تتخلى عنه أو تتهاون في لبسها له لأنه لا ينبع عن إرادة صادرة بسبب من عقيدتها.

وكذلك الحال مع من تلبس الحجاب بحيث يكون في لبسها له ما ينم عن حبها لإظهار زينتها أو لفت الأنظار أو فتنة الرجال.كتوشية الحجاب بألوان صارخة، أو أشياء لامعة، أو وضع الحجاب بطريقة معينة تخالف المألوف، أو المشي بحركات ملفتة للنظر، أو لبس تصميمات من الحجاب تخالف المألوف، وهكذا.

كذلك ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أن إتاحتها المجال للأوهام والأساطير والخرافات كي تسيطر على عقلها وتسيرها وفق أهواء شياطين الإنس والجن، ممن يدعون معرفة الغيب، والقدرة على الاتصال بالعوالم الأخرى، وإبراء الأمراض وغير ذلك، يدخل أيضا ضمن العبودية لغير الله، وأن المتسبب في كل ذلك هو الغفلة عن ذكر الله، والجهل بأن الغيب هو من اختصاص الله وحده دون سواه. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان].

ويذكر ابن تيمية أن من أعظم أسباب الوقوع في أسر العبودية لغير الله؛ إعراض القلب عن الله؛ لأن القلب إذا ما ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له، لم يكن لديه قط أحب ولا أطيب منه (ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م، مج١، ص١٨٧).

فالواجب على التربية أن تعمل على تحذير المرأة المسلمة المعاصرة من الوقوع في أسر العبودية لغير الله، وإنقاذها من التعبد للهوى والشهوات التي يمكن أن تجرفها بعيدا عن أصالتها لتتعبد لأشياء وأشخاص، ومظاهر؛ أبرزها ما يتعلق بالموضة التي تنسحب على

على العودة إلى أصوله الإسلامية. وقد عبرت إحداهن عن ذلك بمخاطبتها للمتظاهرات بقولها:" أنتن هنا للاحتجاج على محاولات العودة ببلادنا إلى عصور الظلام " (الحياة، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م،ع ١٢٤٠٧).

الأزياء، والأكلات، والمباني، والأثاث، والمراكب، حتى أصبح الناس في عصرنا أسرى لها لا يستطيعون عنها فكاكا، في حين أنهم لو أنفقوا جزءا من اهتماماتهم التافهة هذه لأداء واجباتهم بما يحقق عبوديتهم لله؛ لأصبح حال المسلمين أفضل. لكننا نجد من بين مسلمات اليوم من لا تتورع عن كشف ما أمرها الله بستره، أو لبس ما لايناسبها لا دينا ولا شكلا، وتضع من الأصباغ والزينة ما قد يجعلها مثار سخرية للآخرين، وكل ذلك بسبب تعبدها للموضة التي يدين لها غالبية أفراد المجتمع. ولا تدرك أن في التوجه بالعبودية لمن لا يستحقها من أشياء وأشخاص وغير ذلك؛ يدخل ضمن محادة الله ورسوله التي تستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة].

وحين يكون المعبود هو الله؛ يكون منهج الحياة هو المنهج الرباني المبين للحلال والحرام، أما إذا كان المعبود شيئا آخر فإن منهج الحياة يتغير ليساير ما يمليه ذلك المعبود، سواء كان الهوى صراحة أم الهوى من وراء شعارات أخرى؛ حيث تتعدد الصور وتلتقي كلها في أنها هوى (محمد قطب،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، ص ١٨).

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٤٥].

والآية تمثل وعيدا للرسول ﷺ، والوعيد لأرقى الناس مقاما عند الله – كما يقول الإمام محمد عبده– هو أشد بالنسبة لغيره ممن يتبع هواه ويحاول استرضاء الناس بمجاراتهم في باطلهم. فالآية تنبه إلى خطورة هذا الذنب حتى لو أتاه أكرم الناس على الله (رشيد رضا، د.ت، ج٢،ص١٨).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ تعريفها بحقيقة العبودية وكيفية أدائها لله بما يجعلها عابدة لله في كل سلوك وفي كل توجه، في كل لحظة من لحظات حياتها.

كذلك ينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما تشير إليه الممارسات التعبدية وتحديد مواقيتها، وذلك فيما يتعلق بما يهدف إليه الإسلام من تكوين الشخصية المسلمة بصورة تجعلها تتخذ من النظام والترتيب أسلوبا تمارسه في جميع سلوكياتها المتعلقة بدقائق الحياة اليومية، وهو ليس تنظيما آليا يسير الإنسان كالآلة، بل تنظيما محافظا على إنسانية الإنسان،

حيث ينبهه إلى العمل على تحقيق أهداف معينة، ويضبطه بضوابط تساعده على الاستقامة نحو الهدف المنشود.

ومن ثم فإنه لابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من العمل على تنمية حب النظام والترتيب لديها، وكيف أنه يعينها على الإحسان في استخدام وقتها وجهدها في أدائها لمسئولياتها. ونظرة إلى العالم من حولنا تنبهنا إلى أثر التنظيم في تسيير أمور الحياة بسهولة، وأثر انعدامه في تصعيب ذلك، فلولا النظام؛ ما سارت الاتصالات السلكية واللاسلكية، ولا حركة المواصلات بما يساعد الإنسان على أداء مهامه.

كذلك لابد من توجيه المرأة المسلمة المعاصرة؛ إلى ما يساعد على ملاحظة الآثار الباطنة للعبادات المفروضة، بحيث يرافق عمل الظاهر منها عمل الباطن، فالصلاة يرافقها الخشوع، والزكاة حسن النية، والصوم التقوى، وهكذا...، وتوجيهها أيضا إلى ما يرافق الممارسات التعبدية من مظاهر عبادية أخرى، كالذكر وتلاوة القرآن، بحيث تؤديها على أكمل وجه. وتحذيرها من المعيقات التي قد تعوقها عن دوام الصلة بالله فتوجهها إلى ما فيه مخالفة لسنن الله وقوانينه، وأبرزها الشيطان والشهوات والدنيا والهوى، والعمل على توعيتها بآثارها السلبية في تعطيل القدرة على الفهم، والعمل على اضطراب السلوك والأخلاق، واضطراب العلاقات الإنسانية، والانتهاء بالإنسان إلى الشقاء في الدنيا والآخرة (الكيلاني، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ص٢٠٤).

وتحرص التربية الإسلامية في تكوينها للشخصية المسلمة على تحقيق التوازن بين الجوانب المادية والروحية وصولا بها نحو الكمال البشري المقدر لها، والذي يحقق النمو لجميع طاقات الجسم، ويساير الفطرة؛ ولذلك نجد أنه على الرغم من أن الشعائر التعبدية تمثل حقا لله على خلقه؛ إلا أن الله سبحانه وتعالى قد وضع لعبادته حدودا تمنع المسلم من التضحية بحقوق غيره من أجل أداء حقوقه سبحانه؛ لذلك شرعت الرخص، مثل الإفطار للمسافر، وللحامل والمرضع في رمضان، والقصر والجمع في الصلاة للمسافر، وغيرها من الرخص.

وتوجه التربية النبوية إلى أن الإسلام دين يسر وسماحة. وقد أشار إلى ذلك الرسول ﷺ في قوله: " إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه " (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١، الإيمان/ ٢٩، ص ١٥).

فأصول التربية الإسلامية تنهى عن التشدد والمغالاة لما فيها من مجافاة للفطرة، وتعذيب للنفس، حتى وإن كان ذلك في ممارسة الشعائر التعبدية؛ لذلك وجدنا الرسول ﷺ يأمر بحل الحبل الذي اتخذته أم المؤمنين زينب رضي الله عنها لتمسك به إذا ما جهدت أثناء القيام.كما وجدناه حينما أخبرته السيدة عائشة رضي الله عنها عن الحولاء بنت تويت رضي الله عنها أنها لا تنام الليل بل تصليه كله قال: " لا تنام الليل!! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا " (مسلم، د.ت، ج١، المسافرين/ ٣١، ص٥٤٢).

وقد روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه زار أبا الدرداء رضي الله عنه، فوجده يصوم النهار ويقوم الليل، ووجد أم الدرداء متبذلة، فقال له: " إن لنفسك عليك حقا، وإن لربك عليك حقا، ولضيفك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا؛ فأعط كل ذي حق حقه"(الترمذي، د.ت، ج٤، الزهد/ ٦٣، ص٥٢٦).

فالتربية الإسلامية تنهى عن التطرف والغلو في العبادة، وتحث على الوسطية التي جعلها الله سمة لأمة الإسلام الشاهدة على الناس: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

ويحدث التطرف في العبادة؛ بالانحراف عن الوسطية زيادة أو نقصا، فالزيادة قد تدفع بالفرد إلى نسيان متاع الجسد. وهذا قد نهى عنه الرسول ﷺ واعتبر صاحبه خارجا عن الإسلام. فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني" (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٦، النكاح/ ١، ص١٦).

فالمرأة التي تعتزل زوجها في أيام معينة بحجة رغبتها في التفرغ لنوافل العبادات، كإحياء سنة الاعتكاف، أو الصيام نفلا، أو غير ذلك، تكون قد بالغت في العبادة إلى درجة التطرف.

أما التطرف في العبادة من حيث النقص؛ فيحدث حينما يملك حب الدنيا على المرأة

جوانب نفسها، ويدفعها إلى أن يكون همها الأول إشباع شهواتها وقضاء رغباتها من لهو وزينة وطعام وشراب، وغير ذلك مما تراه مبهجا، أو نافعا، أو رافعا لها في هذه الحياة، مما يجعلها في غفلة، تفقدها الإحساس الواعي بمعاني الأشياء، فلا تهتم بما يجري حولها من أحداث تتعلق بالإسلام أو بالمسلمين.

وهذا ليس معناه ألا تعمل المرأة من أجل دنياها، فهذا مطلوب بشرط انضباطه بضوابط الشرع، فهي مأمورة بأن تجعل همها محصورا في الآخرة وهي تعمل للدنيا لأنها خير وأبقى، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود].

والوسطية التي دعت إليها التربية الإسلامية، وأرادها الله لأمة الإسلام لا تعارض دعوة الإسلام إلى الزهد، كما أن الزهد لا يعارض قيام الإنسان بأداء مسئوليته في إعمار الكون؛ وذلك لأن المقصود من الزهد؛ هو الزهد الحسي المادي وليس العملي؛ بحيث يدرك الإنسان حقيقة الدنيا فيجعلها في يده لا في قلبه، فلا يحزن على ما يفوته منها، لكنه في الوقت نفسه يعمل من أجل إعمار الكون؛ لأن عمارة الكون لا تتم إلا بالعمل والجد فيه.

وقد أشار ابن تيمية إلى أن الزهد النافع المشروع الذي يحبه الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، هو الزهد فيما يضر أو فيما لا ينفع في الآخرة، أما ما ينفع في الآخرة، أو يستعان به عليها فإن الزهد فيه هو زهد في " نوع من عبادة الله وطاعته " وهو جهل وضلال، واستشهد على ذلك بقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز " (مسلم د. ت، ج٤، القدر/ ٨، ص ٢٠٥٢).

وقد شرح ذلك بقوله:

" والنافع للعبد هو عبادة الله وطاعة رسوله، وكل ما صده عن ذلك فإنه ضار لا نافع، ثم ألا نفع له أن تكون كل أعماله عبادة لله وطاعة له، وإن أدى الفرائض وفعل مباحا لا يعينه على الطاعة، فقد فعل ما ينفعه وما لا ينفعه ولا يضره " (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م مج١٠، ص ٥١١).

فزهد المسلم في الدنيا، وعمله من أجل الآخرة يؤدي إلى أن يثيبه الله فيجمع له الدنيا والآخرة. وهذا ما يشير إليه قول الرسول ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه :" من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له." (الترمذي، د.ت، القيامة / ٣٠، ج٤، ص ٥٥٤) وفي حديث آخر يقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : **" ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس "** (مسلم، د.ت، ج٢، الزكاة/ ٤٠، ص ٧٢٦).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تأكيد المعاني الحقيقية للزهد والغنى في نفسها؛ بحيث تعمل من أجل الآخرة، الأمر الذي يجعلها تستمتع بثمرات ذلك في الدنيا؛ سكينة وطمأنينة في القلب، وراحة في البال، وبعدا عن الهموم والقلق والحيرة والتردد.

* * *

obeikandl.com